◆ يسوع المسيح ◆

ابن الله القدوس

يسوع: فادينا

توجد في قصة «التكفير» الذي قام به يسوع قوة تسحق القلوب وتجبر الخطاة على ان يعيشوا ليسوع. كيف يكون هناك موضوع أكثر أهمية من هذا؟

كلمة «تكفير» تعني دفع تعويضات لتصليح الأمور، أو ترضية من أُخْطِأَ إليه، بحيث تكون النتيجة هي «المصالحَة والإنسجام» بين الطرفين المتنافرين. حاول موسى «أن يصلح» (أعمال ٧: ٢٦؛ كتاب الحياة، ترجمة تفسيرية) بين الرجلين اللذين كانا يتخاصمان. كلمة «تكفير» تعني حرفياً ترضية، اتفاق، وئام، إنسجام، توافق، مصالحة.

الكلمة العبرية التي ترجمت إلى «كفارة» تعني حرفياً «تغطية» تصف الطبقة التي وضعها نوح على الفلك. وهي تصف عطية يعقوب التي أُرْسِلَت ليهديء عيسو: «أستعطف وجهه {أستر وجَهه} بالهدية السائرة أمامي» (تكوين ٣٢: ٢٠). أصبحت الكلمة تعني «سترة للخطية، تعويض {عن ضرر}، استرضاء، تكفير».

الكلمة «خطيئة» هي من عبارة يونانية تعني «اخطأ الهدف» (كما يحدث احياناً في رمي السهم)، أي يضل ويذنب أمام الله. بما ان الله لا يسمح بالخطيئة (تثنية ٣٢: ٣ و٤؛ حبقوق ١: ١٣؛ يوحنا ٨: ٢١)، كان عليه أن يطرد الخطاة من جنة عدن. كانت نتيجة الخطيئة هي إبعاد الإنسان عن خالقه. بما انه لا يمكن للخطيئة أن تدخل السماء (يوحنا ٨: ٢١ و٢٤؛ رؤيا ٢١: ٢٧)، اصبحت المصالحة مشكلة الكون الأكثر خطورة، تعويض، أو استرضاء، أو تكفير الذي به يمكن يرجع الخطاة إلى نعمة الله وأخيراً إلى حضوره في السماء.

الفداء ضروري

ليس آدم وحواء هما اللذان ارتكبا الخطأ ضد الله فقط. كل من يستطيع ان يستخدم عقله بطريقة صحيحة والذي يكبر ليعرف الفرق بين الخطأ والصواب قد طاش عن هدف البر («كل إثم هو خطية»؛ يوحنا الأولى ٥: ١٧). قد أخفق الجميع في معيار الله (رومية ٣: ٢٣). لا يوجد إنسان يتحدي قائلاً: «من منكم يبكتني على خطية؟» (يوحنا ٨: ٤٦) دون ان يجد إجابة، إلا يسوع وحده.

بغض النظر عن تطورات الإنسان فان هذا السوأل الذي طُرح قبل ثلاث آلاف سنة ما زال يتطلب إجابة سلبية: «من يقول إني زكيتُ قلبي تَطَهّرتُ من خطيتي؟» (أمثال ٢٠: ٩). لا يمكن لأحد غير يسوع ان يدعي بهذا. كون ان الخطية تعم العالم هذا يوضح ان تعليم التكفير المحدود لا يفي بالحقيقة. التكفير العالمي هو وحده يمكن ان يعمل ضد خطية عالمية. إذا كان الله لا يقبل الوجوه {لا يفضل أحداً على أحد} (أعمال ١٠: ٣٤)، وإذا كان يحب كل مخلوقاته، فيجب ان تشمل خطة التكفير على كل الناس.

يكون الفداء شخصياً

لا يمكن توريث الخطية ولا تحويلها للغير. كل خاطيء «يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته» (يعقوب ١: ١٤). لهذا السبب مهما كان حجم تكفير يسوع عن الخطية، يكون فعال فقط

عندما يستجيب الأفراد بصفة شخصية إلى تلك الكفارة. إذا كانت الخطية {تُرْتَكَب} بصفة شخصية، فيجب ان تكون المصالحة أيضاً شخصية. إذاً، تكون الكفارة من غير فائدة بدون استجابة شخصية. الإستجابة الأبوية نيابة عن الأولاد مستحيلة، واعتماد شخص ما نيابة عن شخص آخر هو شيء مستحيل. «كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله» (رومية ١٤: ١٢).

يوجد الفداء في المسيح وحده

اجرة الخطية هي الموت والعقاب {بالابتعاد} عن حضور الرب. لا يمكن ان يكون الله كائناً صديقاً وعادلاً (تثنية ٣٢: ١-٤) إذا غض النظر عن إثم الإنسان وأخذه إلى السماء مهما كانت خطاياه. ما زال الله يحب الإنسان ويريد خلاصه (حزقيال ٣٣: ١١؛ يوحنا ٣: ١٦). كيف يبقى الله عادلاً وفي الوقت نفسه يبرر الخطاة؟ (أنظر رومية ٣: ٢٥ و٢٦). كانت هذه هي مشكلة السماء.

حفظ تشريعات الآباء لم يكفي

تأمر تشريعات الله بتقديم ذبائح الحيوانات وتمنع سفك دم الإنسان وأكل الدم. مثل هذه التشريعات كانت ضرورية لتحمي الآباء في طريقهم إلى السماء. إذا كان حفظ هذه التشريعات يكفر عن الخطية، لكانت مشكلة السماء قد حلت - ولكنه لا يكفر عن الخطية.

حفظ تشريعات موسى لم يكفي

كانت هناك لعنة على كل من يحتقر ناموس موسى (تثنية ٢٧: ٢٦؛ عبرانيين ١٠: ٢٦ و٢٧) ويخفق فيه. حتى الذين يحفظونه بلا لوم (لوقا ١: ٦؛ فيلبي ٣: ٦) لهم أيضاً خطية، لأنه كان مستحيلاً لدم الحيوانات ان يزيل خطايا (عبرانيين ١٠: ٤). «لأنه لو أُعْطِيَ ناموس قادر أن يحي، لكان بالحقيقة البِرّ بالناموس» (غلاطية ٣: ٢١).

الإيمان بالله والمسيح وطاعتهما لا يكفيا

يظهر عمل إيمان عظيم في إبرهم الذي كان يبلغ الخامسة والثمانون من عمره، والذي آمن بان الله سيكثر نسله مثل نجوم السماء(تكوين ١٥: ٦). مُدِحَ عمل الإيمان هذا الذي كان لإبراهيم وجُعِلَ مثالاً لنا في العهد الجديد (رومية ٤: ١٦-٢٤؛ غلاطية ٣: ١٦-٢٩). إذا كان عمل الإيمان (أنظر يوحنا ٦: ٢٩) والطاعة تكفر عن خطية، لكانت مشكلة السماء قد حلت. إيمان الطاعة (رومية ١: ٥) الذي يعمل بالمحبة (غلاطية ٥: ٦) هو ضروري لأي شخص لكي يدخل السماء (رؤيا ٢: ١٠)، ولكن ليس هناك أي شيء يمكن لإنسان أن يفعله كي ينال البر. كطاعة تامة لكلمة الله، لم تكن طاعة الإنسان هي الحل لمشكلة السماء.

القيام بالأعمال الحسنة لا يكفي

الأعمال الحسنة رائعة وضرورية في عيني الله (متى ٢٥: ٣١-٤٦)، ولكنها لا تكفر عن خطايا الإنسان. الاب الذي يدق مسماراً في الباب كل مرة يخطيء فيها ولده، ويقلعه كل مرة يطيع ولده، ما زال يبقى له منظراً قبيحاً: باباً به ثقوب. الطاعة ضرورية ولكنها لا تعوض عن العصيان. تبقى الزانية في إثمها رغم انها قد تكون جارة طيبة للذين في الحاجة. ويبقى اللص مذنباً حتى ولو يعطي النقود إلى المساكين. الإنسان الذي يصلي بكثرة لكي يعوض عن لعناته الكثيرة، يستخدم وسيلة غير صحيحة. لا يمكن الحصول على خلاص الخطاة عن طريق «السحب والدفع». هذا ليس حلاً لمشكلة السماء (والعالم) الأكبر.

تحويل البر مستحيلاً

قد ظن البعض ان الحل الذي وضعه الله ليأس الإنسان، وحالته المدانة هو تحويل بر المسيح إلى البشر. إن كان هذا ممكناً، لما كان على المسيح أن يترك السماء، لأنه كان باراً حتى قبل مجيئه إلى الأرض.

رغم ان المسيح هو مصدر برنا (إرمياء ٢٣: ٦؛ ١ كورنثوس ١: ٣٠)، ورغم اننا قد جُعِلْنا أبراراً فيه (٢ كورنثوس ٥: ٢١)، ليس هناك تحويلاً لحالة البر من شخص إلى آخر. لا يمكن أن

يقال اننا أبرار بدون كفارة المسيح، ولكن لا توحي الأسفار المقدسة ولا المنطق بان بر يسوع قد جُعلَ علينا.

ان البر، أي منزلة البر هي حالة تكون عندما يعلن الله هذه الحقيقة، وليس بوضع حالة شخص آخر على الخاطيء. إذا كان تحويل البر من شخص ما إلى آخر شيء يمكن التفكير به، لكان الله قد فكر في هذا لكي يصفح عن ابنه. كما ان خطية آدم لا تورث، هكذا أيضاً بر المسيح غير قابل للتحويل. لا بد أن يكون هناك شيء آخر هو حل السماء.

إرسال المسيح كبديل كان هو الحل الوحيد

كان قد أعلن في مجلس السماء قبل ان يكون العالم (أنظر ١ بطرس ١: ٢٠؛ رؤيا ١٣: ٨)، ان ذبائح الحيوانات في أي عصر لا تكفي لإزالة خطايا الإنسان. تطوع ابن الله ليصير جسداً لكي يضحي بموته، موتاً بديلاً (عبرانيين ١٠: ١-١٠). «هنذا أجي. لأفعل مشيئتك يا الله»، هكذا قال لأبيه (آية ٧). فسر الآب انه ليس هناك إلزام، إذا كان قد غير رأيه بعد وصوله إلى الأرض، لم يكن عليه ان يجتاز تلك المحنة الرهيبة. ذكر يسوع وعد الآب لابنه عندما كان على الأرض (يوحنا ١٠: ١٧ و١٨).

كان يسوع بشراً كأي واحد منا. يمكننا ان ننتسب إلى رهبة الصليب ونرى لماذا كان عليه أن «يصمم بعزم» ليجبر نفسه بالذهاب إلى المدينة التي كان سيموت فيها (لوقا ٩: ٥١؛ ١٣: ٣٣). يمكن ان ندرك لماذا قال يسوع لبطرس «يا شيطان» عندما كان بطرس يجادل يسوع أنه لا ينبغي أن يموت وبهذا جربه ليتجنب الموت (متى ١٦: ٢١-٢٣). نتعاطف معه في {مواجهة} رهبة الصليب عندما اضطربت نفسه. ومع ذلك، نفرح لانه عوضاً ان يقول يسوع: «أيها الآب نجني من هذه الساعة»، ضبط نفسه ليقول «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يوحنا ١٢: ٢٧).

في محنة جثسيماني المؤلمة، كان يسوع يعرف جيداً انه يمكن ان ينسحب من الموت. كان يعرف بان في استطاعته ان يطلب جيشاً من الملائكة لينقذه (أنظر متى ٢٦: ٥٣)، ولكنه لم يشاء ان يرفض الصليب. كان يرغب بشدة ان يتجنب ألم وعار الصليب. صلى بإلحاح، وبعرق كقطرات دم، لكي يُصفح عنه. كان يسوع يريد أن تعبر عنه آلام الجلجثة إذا كان باستطاعة الآب أن يفكر في طريقة أخرى ليكفر عن خطايا العالم.

حتى في عمق غنى حكمته هذه، لم يكن الله الحكيم يعرف أي خطة أخرى تفي بالغرض. أية خطة أخرى تعرض طهارة السماء ومعيار عدالة الآب للخطر. الطريقة الوحيدة التي يمكن بها لله أن يبقى عادلاً ومع ذلك يبرر الخطاة هي أن يرى عذاب نفس يسوع مثقلة بخطايا العالم. حينئذ يشعر الآب بالاكرام عندما يحرر الخطاة من ذنوبهم (رومية ٣: ٢٣-٢٦). التقت مراحم {الله} مع الحق على الجلجثة، بينما عانق البر والسلام بعضهما الآخر (المزمور ٨٥: ١٠).

الخلاصة

كم نحن مباركين! عندما كشف الله عن خطة الخلاص، تمنت الملائكة والأنبياء، والأبرار أن يروا ما يحدث. لم ترى عين ولم تسمع أُذن ولم يفكر قلب في أسى وضخامة نظام التكفير حتى جاء الوقت المحدد. لم يعلم أحد بالمجد الذي كان سيأتي. ولكن الآن، قد كشف عن الذي كان سراً. قد أمكن لكل من الملائكة والناس أن يروا حكمة الله عندما ينظروا إلى جماعة الخطاة المدعويين بموت المسيح الكفاري ليكونوا كنيسة النفوس المطهرة! ان كل جزء من الديانة قديماً كان أم جديداً له صلة بالصليب. لم ينسى شيء عندما أكمل الله خطته. لم يحذف شيئاً عندما اعتزم بولس ان لا يعرف شيئاً إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً (أنظر ١ كورنثوس ٢: ٢).

مثيرة ومطربة للقلب هي المحبة التي دفعت خطة الله، والحكمة التي فكرت بها، والشجاعة التي أنجزتها. وفرت نعمته غفراناً للخطايا. حزين ومندب ومؤسف هو عقل الإنسان الذي يجهل طبيعته الخاطية والذي يرفض بازدراء عظمة الكفارة ويعتبرها جهالة.